

أسرار البرديات الثماني

أ. رونا المصري

انتبه!

هذه الورقة التي تقرأها الآن، قد تصبح تاريخاً يحكى ويؤرخ له في المستقبل .. هكذا بدأت قصة البرديات الطبية في مصر القديمة .

جيداً بآلة يدوية بسيطة، ثم تَبَلَّ بالماء جيداً حتى تمتلئ خلايا النبات بكميات كبيرة من سائل الحياة، وتُرَصَّ بعد ذلك بتقنية خاصة جداً على شكل شرائط طويلة فوقها شرائط أخرى عرضية، ثم يوضع ثقل كبير فوق هذه الشرائط العمودية، وتترك في الشمس حتى تجف. وبعد بضعة أيام يحصل الفراعنة على لوحة ورقية تصلح للكتابة والتدوين .. إنها ورقة البردي؛ وهذه كانت أول عملية تصنيع ورقي في العالم. لكن لماذا نهتم بتفاصيل صناعة ورقة البردي؟

الإجابة بسيطة، فعلى هذه الأوراق سجلت مدارس مصر الطبية القديمة أهم خبراتها في طرق اكتشاف المرض وتشخيصه وعلاجه أيضاً.

كخش .. تشيك!! هذا هو صوت اقتطاع جزء من سيقان نبات البردي الفرعوني، فسوف يتم فردّها



رسومات توضح إرتباط الطب بالعقيدة لدى المصري القديم ومدى براعته في إجراء الفحوصات الطبية، ويبدو في الرسم الإله "أنوبيس" رب التحنيط والعقاقير الطبية، أثناء فحصه لأحد الأشخاص.

”الأخود“ الفرعوني

”الأخود“ كلمة هيروغليفية قديمة كانت تطلق على كل ما يؤدي إلى ظهور مرض ما، أو اعتلال في الصحة. وباختصار، هذه الكلمة القديمة هي المرادف العلمي لكلمة ”ممرضات“، أو ”مسببات المرض“، غير أن قدماء الفراعنة لم يصنّفوا ”مسببات المرض“ إلى الأقسام التي نعرفها اليوم، مع التأكيد بأن تصنيفاتهم الخاصة جداً لا تزال صحيحة تماماً مع اختلاف تسمياتها في الوقت الحالي.

التصنيف المصري القديم كان يرى أن نشأة المرض تعود إلى سببين اثنين فقط: أولهما؛ خارجي أو مرئي، مثل الهواء، أو خلل التغذية، أو الفائط، أو الديدان. وثانيهما؛ سبب باطني أو غير مرئي، وتضم الأمراض التي تستدعي علاج الروح والنفس، أو استخدام السحر والرقية والأدعية والصلوات الدينية. وربما مَزَج أسلوبُ الفراعنة في العلاج بين استخدام الوسيطتين: الوسيلة العضوية للعلاج، والوسيلة الروحانية للعلاج عن طريق التراتيل والسحر وغيرها. ويفسر بعض العلماء سرَّ لجوء الناس إلى الدجالين في وقتنا الحالي إلى استمرار تأثير الثقافة الفرعونية في العلاج بالسحر إلى وقتنا الحالي... تأثير قوي دام آلاف السنين... أليس كذلك؟

من الماضي إلى الحاضر

هل اختلفت الأمراض التي نصاب بها اليوم عن الأمراض التي أصيب بها قدماء المصريين عبر آلاف السنين؟

الإجابة لا؛ فالصداع مثلاً كان أحد الأمراض الشائعة قديماً، ولا يزال يحتل مركز الصدارة في قائمة أمراض العصر. وكذلك أمراض الصدر، والحساسية، وأمراض العيون وبخاصة الرمد، والإصابة بالديدان، والأمراض الناجمة عن سوء التغذية كلها أمراض تبدو مألوفاً في قاموسنا الطبي الحالي، وقد كانت مألوفاً كذلك في قاموس الفراعنة الطبي قديماً.

ومن الغريب والطريف أن نعلم أن الطبيب المصري القديم توصل إلى تشخيص مرض ظلُّ لغزاً محيراً عبر الثقافات العالمية والحضارات المختلفة، ألا وهو مرض ”الصرع“، فلطالما وُصِفَ مَرَضِي ”الصرع“ بالجنون أو بمسّ الشياطين، وهو ما نفاه الطب الحديث وأثبت أنه مجرد ضرب من الأساطير، ولا حقيقة له على الإطلاق. ونجد أنفسنا أمام وعي طبي صحيح وإدراك علمي قديم للطبيب الفرعوني بخبرته بأن من يعاني من هذا المرض يتمتع بذكاء خارق ومواهب إبداعية خلاقة، وكان دائماً محلَّ تقديرٍ من المجتمع بلا وصمة أو نظرة خوف أو تجنب.

ولكن كيف عرفنا كل هذا القدر من المعلومات عن الطب في مصر القديمة؟
الإجابة في السطور القادمة...

.....

رسم توضيحي تخيلية عن العقاقير والتداوى من الأمراض في مصر القديمة، يبدو فيها أحد الأطباء بزيه القديم ومعه أحد المساعدين أثناء قيامهما بجلسة علاجية.



كلمات على البردي

تناولت هذه البردية شرحاً وافياً للأمراض الخاصة بالمعدة، والبطن، والعيون، والرأس، والأطراف، وأمراض النساء، وآلام الأسنان، وعلاج الكبد، وجزء من علاج القلب والأوعية الدموية، وعلاج الجروح.



يصل عمر الحضارة المصرية إلى أكثر من سبعة آلاف سنة، وكان من الممكن ألا نعرف شيئاً عن علومهم الطبية لولا وجود البرديات الورقية... أقصد الوثائق التاريخية التي تحدثت عن براعة الأجداد في الطب وفروعه، وكانت كل بردية من البرديات الثماني التي تم وصفها وتسميتها «البرديات الطبية المصرية القديمة» تتحدث عن مجموعة من الأمراض والتشخيصات والعلوم الطبية ذات الصلة. ويقول العلماء إن هذه البرديات كُتبت خلال النصف الأول من عصر الدولة الفرعونية الحديثة؛ أي في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وتتميز كل البرديات الثماني، وإن اختلفت مضامينها في احتوائها على تعاويذ ورقية وأدعية وتماثيل سحرية قديمة لطرد الأرواح الشريرة، وهو ما يفسر ارتباط المصري بديانته.

هذه البرديات هي: بردية «إبيرس»، بردية «إدوين سميث»، بردية «هيرست»، بردية «برلين»، بردية «كاهون»، بردية «ليدن»، بردية «شيوستر بيتي»، وأخيراً بردية «لندن». فهي إذن ثماني برديات طبية قديمة.

بردية «إبيرس»

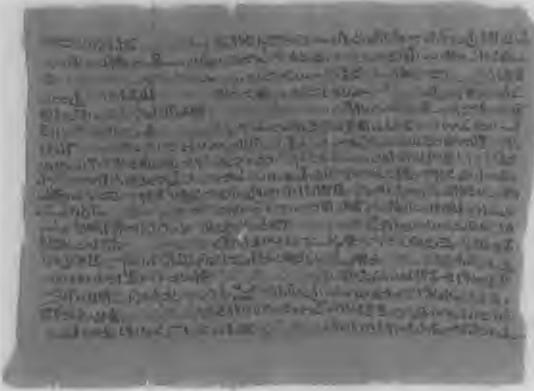
ربما كانت هذه البردية هي الأولى من حيث الأهمية في قيمة المعلومات التي وردت فيها مقارنة بالبرديات المتبقية، فقد تمت كتابتها كتابةً مفصلةً تساعد على الرجوع إليها والاستفادة منها بكل يسر وقت الحاجة. وَرَدَ في هذه البردية أكثر من 877 وصفة علاجية، تضمنت وصفات لأدوية مركبة وعقاقير طبية، حيث كانت تُصنع بخلط أكثر من نبات عطري أو طيب بنسب معينة أو بمواد معينة بأوزان خاصة. وهذا يؤكد براعة المصري القديم في علوم الصيدلة أيضاً، حيث ذكر أكثر من 400 عقار طبي مختلف، وأكثر من خمس وصفات علاجية لكل مرض، يجري إعداد كل منها بطريقة تختلف عن غيرها.

بردية إبيرس ذات الوصفات العلاجية المتعددة، وتبدو أن كُتبت بانتظام واضح.

بردية «إدوين سميث»

يرجع تاريخ هذه البردية إلى نحو 1600 قبل الميلاد، غير أن المعلومات عن كاتب هذه البردية لا تزال محل جدل كبير بين علماء التاريخ والآثار؛ فالبعض يقول إنه أحد الأطباء الموجودين داخل البلاط الفرعوني، والبعض الآخر يقول إنه أحد المصاحبين للحملات العسكرية من المتخصصين في الطب، والاتفاق الوحيد فيما بينهم كان عن شدة نظام ودقة وترتيب طريقة الكتابة والتدوين بهذه البردية. وتعد هذه البردية كذلك من أهم البرديات الطبية في العصر الحديث لأنها تناولت شرحاً وافياً لإصابات الجسم بترتيب يبدأ من إصابات الرأس،

ووصفات علاج الإسهال أو الجفاف الذي كان معروفاً قديماً باسم "عاع"، ووصفات لعلاج أمراض الشرج والبول، ووصفات لعلاج أمراض الأصابع. وليس من الغريب أن تجد مثلاً وصفة استنشاق البخار باعتبارها وسيلة للقضاء على السعال، تلك العادة التي مازلنا نمارسها حتى اليوم، وبالطبع كان في البردية المزيد من الرقى والتعاويذ الفرعونية القديمة.



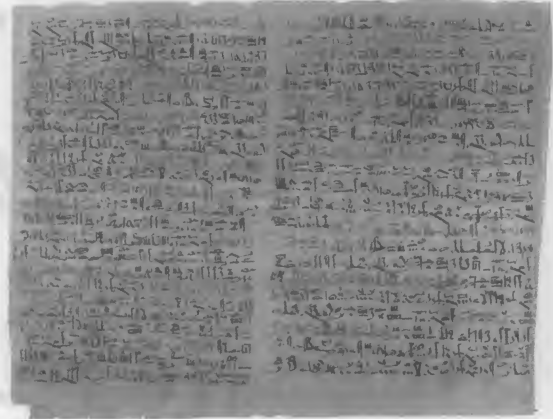
بردية هيرست الطبية بوصفاتها الطبية التي لا تزال تستخدم حتى يومنا الحالي منذ عهد المصريين القدماء، وتبدو كتابتها بشكل منتظم مثل البرديات السابقة

خمسة من ثمانية

يتبقى لدينا خمس برديات من إجمالي البرديات الثماني التي ذكرناها عن الطب في مصر القديمة، وهي بردية "برلين" التي لم تكن على نفس النظام والترتيب الذي وجدناه في بردية "إدوين سميث"، وهناك بردية "كاهون" وهي محفوظة بحالتها الممزقة في معهد الآثار المصرية بجامعة "كوبنهاجن" بالدنمارك، وبردية "لندن" المحفوظة بالمتحف البريطاني، وتعود إلى الأسرة التاسعة عشرة، وبردية "ليدن" المحفوظة بمتحف "ليدن" بهولندا، وتحتوي على الكثير من التعاويذ مع قلة الوصفات الطبية، وأخيراً بردية "شستر بيتي" المحفوظة في المتحف البريطاني أيضاً، وتتميز بصغر حجمها مقارنة بالبرديات الأخرى.

ومروراً بالرقبة والترقوة، ونزولاً عبر أجزاء الجسم، وصولاً إلى القدمين.

يقول العلماء ان هناك قرابة 48 حالة طبية مختلفة ما بين كسور وخلوع وجروح ذُكرت في هذه البردية بالتفصيل، وكان الكاتب منظماً في تدوينها؛ إذ ذكر وصف كل حالة بدءاً من كتابة اسم الحالة، ثم كيفية إجراء الفحص الطبي، ثم تشخيص الحالة المرضية، ثم طريقة العلاج في الحالات التي يمكن الشفاء منها، وأخيراً تفسير العبارات الطبية التي قد تبدو غامضة بعض الشيء عن هذه الحالة.



بردية إدوين سميث البردية التي تجمع ما بين التعاويذ والوصفات الطبية مكتوبة بشكل منتظم وواضح، بينما أثير الجدل الشديد حول طبيعة كتابتها بالرغم من نجاحه في كتابتها كمرجع طبي دقيق

بردية "هيرست"

يرجع تاريخ هذه البردية إلى تاريخ بردية "إيبرس" التي تحدثنا عنها آنفاً. وفي هذه البردية يمكنك الحصول على المزيد من الوصفات العلاجية الفرعونية التي تناقلها المصريون عبر آلاف السنين لتجدها كما هي في الحاضر، وهذه الوصفات تضم علاج أمراض الأسنان والعظام، ووصفات علاج أمراض المعدة، ووصفات علاج أمراض الشعر والجلد، ووصفات علاج الأورام،

الدراسة محددةً بمدة معينة، بل كان انتخاب الأطباء الخريجين بناءً على تفوقهم أثناء الدراسة وتميُّزهم في أداء فروضهم العملية. وبعد الانتهاء من أداء الفروض العلمية، يُقسَم الخريجون يميناً قانونية تنص على أن يؤدي الخريج مهامه في خدمة الناس ومساعدة كل أفراد المجتمع بالصدق والخير والعطف على الفقير ومداواته بالمجان. ونتساءل: هل انتقلت تعاليم اليمين القانونية لأطباء الفراعنة عبر السنين، كما انتقل علمهم وبردياتهم ووصفاتهم العلاجية؟



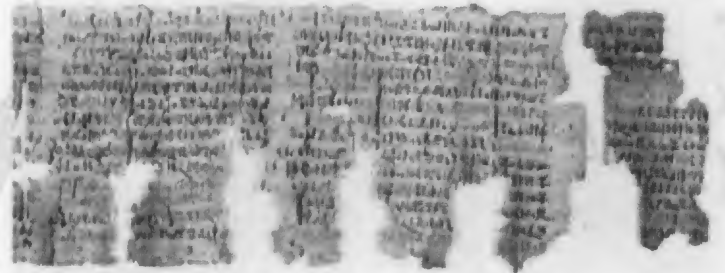
رسمه تخيلية إبداعها الفنان المعاصر ليحكى كيف كانت براعة الفراعنة في علوم الصيدلة والعقاقير الطبية مواكبة لنجاحهم في الطب وعلومه

هذه المرة سيكتب كل قارئ منكم الإجابة التي يريدها عندما يحتفظ بما قرأ عبر هذه السطور للمستقبل.

تمت بحمد الله



برديتين طبيتين في حالة يرثى لها وقد بدا عليهما تأثير آلاف السنوات من الزمن كما يبدو جلياً على ورق البردي، البردية الأولى العلوية هي بردية «كاهون» بينما البردية بالأسفل هي بردية «لندن»



مدارس طبية

شهدت مدن مصر القديمة مثل ممفيس، وعين شمس، وطيبة، وصان الحجر، وهليوبوليس، وغيرها من المدن، قيام مدارس طبية تهتم بدراسة علوم الطب والهندسة والفلك والحساب واللاهوت. وكانت شروط قبولهم للطلاب الجدد يعتمد على إمكانيات الطالب الشخصية؛ إذ لزم أن يكون الطالب المتقدم للطب كثير الصمت، حكيمًا، رحيماً، متصفاً بفضيلة الأخلاق والصدق، وأن يكون حسن السمعة. ولم تكن